السنة: الثامنة المجلد: 08 العدد: 02 ص ص: 394- 413
ISSN 2543-375X EISSN 2676-1645

تجديد الخطاب الاستشراقي عند وائل حلاق

Renewing the orientalist discourse at Wael Hallaq

حليم بن هبري*، مخبر مجتمع تربية عمل
جامعة مولود معمري تيزي وزو
halim.benhebri@ummto.dz

أحمد باجي، جامعة مولود معمري تيزي وزو
Ahmed.badji@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2023/03/20 تاريخ القبول: 2023/06/06

ملخص:

الا ست شراق في عمومه يق صد به درا سة ال شرق من حيث معتقداته وعاداته وتقاليده، وثقافته ونمط تفكيره، من أجل توجيهه وال سيطرة عليه، وبعد ذلك ا ستعماره، وهذا المعروف عنه في الأو ساط الفكرية الفل سفية العربية الإسلامية، ويأتي المفكر المعاصر **""وائل حلاق""** يطلق على هذا المفهوم بأنه لا يعدو كونه مفهوم سياسي، وهو احد الأسباب التي جعلته يعتبر تلك الدرا سات قاصرة وغير مرضية، فعلى الباحثين الأكاديميين المعاصرين إعادة قراءة مفهوم الا ست شراق من جديد باعتباره م صدر المعرفة الحديثة، وكذلك طريق نحو الحداثة ذاتها، وإن فهمنا للهدف الحقيقي للا ست شراق يعني فهم الطريقة التي أصبحنا ننظر فيها إلى العالم بالطريقة التي ننظر بها إليه الآن

الكلمات المفتاحية: الاستشراق – النقد – الحداثة – الرؤية البديلة – الكولونيالية.

* المؤلف المراسل

Abstract

Orientalism in general means the study of the East in terms of its beliefs, customs, traditions, culture and mode of thinking, in order to direct and control it, and then colonize it. That it is othing more than a political concept, which is one of the easons that made it consider these studies deficient and unsatisfactory. Contemporary academic researchers must re-read the concept of Orientalism as a source of modern knowledge, as well as a path towards modernity itself. Our understanding of the real goal of Orientalism means understanding the way we have become. We see the world the way we see it now

Keywords: Orientalism - Criticism - Modernity - Alternative Vision - Colonialism

مقدمة :

للاستشراق أهمية كبيرة في ميدان الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر، بحيث ساهم في توجيه التيارات الفكرية والفلسفية، وخلق بيئة استعمارية كولونيا، واستلهام مفكرينا أفكارهم ومنطلق دراساتهم واستنتاجاتهم من آراء المستشرقين الغربيين، فالاستشراق في عمومه يقصد به دراسة الشرق من حيث معتقداته وعاداته وتقاليده، وثقافته ونمط تفكيره، من أجل توجيهه والسيطرة عليه، وبعد ذلك استعماره، وهذا المعروف عنه في الأوساط الفكرية الفلسفية العربية الإسلامية، ويأتي المفكر المعاصر **""وائل حلاق""** يطلق على هذا المفهوم بأنه لا يعدو كونه مفهوم سياسي، وهو احد الأسباب التي جعلته يعتبر تلك الدراسات قاصرة وغير مرضية، فعلى الباحثين الأكاديميين المعاصرين إعادة قراءة مفهوم الاستشراق من جديد باعتباره مصدر المعرفة الحديثة، وكذلك طريق نحو الحداثة ذاتها، وإن فهمنا للهدف الحقيقي للاستشراق يعني فهم الطريقة التي أصبحنا ننظر فيها إلى العالم بالطريقة التي ننظر بها إليه الآن، والذي بدأ البحث فيه ونقده مع المفكر والأديب ""ادوارد سعيد"" من خلال كتابه الاستشراق، الذي مكّن لنسفه مكان رفيع مع المثقفين العرب والمسلمين، إلا أن هذا الاجتهاد من سعيد لم يسلم من الانتقادات سواء كانت معرفية علمية أو تلك التي وجهت لشخصه، إلا أن هناك انتقادات بناءة تثري الموضوع أكثر مما

تقزَمه فقد برز المفكر الفلسطيني كذلك ""**وائل حلاق**"" بكتاب قصور الاستشراق الذي نشر في 2018م، قد أبانت عن نقاط مركزية في الاستشراق ينتقد بها موضوع الاستشراق لدى سعيد، وكذلك إبراز أهم النقائص التي وقع فيها، وكذلك أبان عن ما يمكن أن نقول عنه أنها أخطاء أو تناقضات وقع فيها، ثم تجاوز حلاق هذه الدراسة النقدية كرؤية بديلة يمكن أن نفهم المعنى الحقيقي للاستشراق، وهذا ما يقودنا إلى استشكال موضوعنا كالتالي :

-ما مفهوم الاستشراق؟ وفيم تكمن مجالاته وأهدافه؟

-هل فشلت الدراسات العربية الإسلامية السابقة في فهم الاستشراق ووظيفته وأثره على العرب والمسلمين؟

-هل هناك مفهوم جديد للاستشراق يمكن أن نضبط من خلاله هويتنا وتراثنا والحداثة، ونقدها حسب وائل حلاق؟

تكمن الأهمية البالغة لدراسة "**وائل حلاق** " للاستشراق هو أنه قدم رؤية جديدة وبديلة لمفهومه، واعتبر أن الدراسات السابقة له لم تتجاوز الطرح السياسي، وأن هذه الدراسة لم توظف الاستشراق بما يخدم راهنية مشكلات الفكر العربي الإسلامي المعاصر، فقد وجدنا في عصر قد فرضت علينا الحداثة فرضا من طرف الكولونيا لية، وكذلك فإن اصدرا هذه الدراسة في كتاب "**حلاق**"، **قصور الاستشراق**، سلطنا الضوء عليها من أجل توضيح أفكاره، وكذلك الموضوعية التي يتميَّز بها المفكر لمعالجته لمفهوم الاستشراق مع ما يستجيب لراهنيه العالم العربي والإسلامي .

اعتمدنا في بحثنا هذا المنهج التحليلي الذي من خلاله سعينا إلى فهم الاستشراق عند وائل حلاق، وكيف يمكن ان نتجاوز الدراسات السابقة له، وإعطاء رؤية بديلة للاستشراق يمكن أن نفهم الهوية والتراث والحداثة ونقدها.

2.نبذة عن الاستشراق:

1.2مفهوم الاستشراق:

إذا ما بحثنا في مصدر الكلمة ""الاستشراق"" فإننا لا نجد هذه الكلمة في معاجم وقواميس اللسان العربي، فهي كلمة مستحدثة وتعود إلى كلمة الشرق، وعند إضافة (ا س ت) يكون معناها إلى كل من أدخل نفسه في دائرة الشرق وانتمى إليهم وصار منهم، أي سعى إلى معرفة الشرق والبحث في معارفهم وخبراتهم وعاداتهم وتقاليدهم ودينهم ولغاتهم و آدابهم وفنونهم، وقد كان أول ظهور أو استخدام لكلمة استشراق إلى أحد أعضاء الكنيسة الشرقية سنة 1630 م وقد أضيف هذا المصطلح إلى الإنجليزية عام 1779م، وكذلك إلى الفرنسية عام 1779م، وأضيف بعدها مصطلح استشراق إلى معجم الأكاديمية الفرنسية عام 1838م (الدعمي، 2008، صفحة 86)

ويمكن النظر في كلمة "شرق" بتشديد الراء لوجدناها تعني الأخذ في ناحية الشرق، ومنه أخذت بعض مصادر اللغة تعريف الاستشراق كمصطلح علمي له دلائله، ولهذا يقول الشيخ أحمد رضا عن المدلول اللغوي للاستشراق: هو طلب الشرق ولغاتهم مولدة عصرية، تقال لمن يعني بذلك من علماء الغرب، وإذا أضيف إليها الألف والسين والتاء والتي تعني طلب الشرق فإن معناها طلب علوم الشرق وآدابه وأديانه بصورة شاملة أما كلمة الاستشراق كمعنى عربي لا وجود لها وإنما عربت من الإنجليزية.

لم يتفق الباحثون على مفهوم واحد للاستشراق وذلك لاختلاف المهتمين بالاستشراق على وجه العموم فهناك من ربطه باشتغالهم بعلوم المسلمين ومنهم من جعل اللغة العربية هي مصطلحهم الأول، ومنهم من علَقها بالاشتغال بعقليات أهل الشرق فيقال عنه بأنه:"" **...عبارة عن دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون، فيدرسون بوجه الخصوص الإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخا ونظما وثروات وامكانيات""**

يذهب البعض إلى اعتبار أن كلمة "استشراق" قد اكتسبت معنى سلبي لأنه في اعتقادهم أن الغرب قد أخفى أهدافه ونواياه في ارسال الجواسيس إلى البلدان الشرقية وخاصة الإسلامية والعربية وراء كلمة استشراق التي تحمل في طياتها معنى سلبي ممزوج بالخيانة والتآمر والجاسوسية خاصة عند المفكرين الذين يقرنون فكرة الاستعمار بمصطلح الاستشراق لأن الواقع الذي عاشته الدول العربية الشرقية في مرحلة الانتداب الفرنسي والانجليزي، كانت الدول الاستعمارية ترسل جواسيس وقادة تابعين لهم ولكنهم علماء متخصصين في علوم الشرق، فيقومون بدراسة الشرق وعاداته وتقاليده وذلك من أجل الاستعمار الطويل والتحكم بالأفكار السائدة الملائمة للبيئة الاستعمارية حتى يطول الأمر أكثر فبدأ المسلمون يكرهون كلمة استشراق حتى راح بعضهم يعدّل من معنى الكلمة وآخر يستبدلها بمعاني أخرى حتى يتجنب كره العرب والمسلمين له، ويرحب بعلماء الغرب في دراستهم للشرق فمثلا: المستشرق الفرنسي الكبير " دانيال ريج" ، كراهية المسلمين والعرب لهذه الكلمة يقترح أن تحل محلها كلمة أخرى بديلة مثل: علم العرب بالإضافة إلى إعادة النظر في تركيبة الاستشراق وأساليبه أيضا وكذلك يرفض المستشرق الفرنسي أندريه ميشال وصرّح مدافعا بقوله:" **إن الاستشراق ليس له صيغة استعمارية بأي حال من الأحوال**" (زماني، 2010، صفحة 49)

2.2 الاستشراق في الخطاب المعاصر:

وتشير الدارسات التي عرف عن الخطاب العربي الإسلامي المعاصر بتوجهه نحو نقد التراث والبحث في آليات اللحاق بالركب الحضاري بين الاتجاهات النقدية المعروفة، إلا أن هذا الخطاب قد تحوّل إلى الاستشراق والبحث في ماهيته وأهدافه وكذلك نقده .وقد عرف عن الاستشراق في عمومه هو اتجاه الغرب وعلماءها ومفكريها ومثقفيها إلى دراسة الشرق من أجل فهمه وإدراكه وخاصة الاهتمام البالغ الأهمية بالإسلام، وقد انقسم هؤلاء المستشرقون إلى فريقين بين معجب بالشرق وبين مزدرى به، إضافة إلى المثقفين العرب والمسلمين لم ينتبهوا

لهذه الدراسة حتى تلقى صدمات من الغرب واضطهاد واستعمار أي العلاقة بين المعرفة والسلطة (لويس، 1999، صفحة 21)

وعند دراسة الخطاب الإستشراقي المعاصر أي ذلك الخطاب المتداول خاصة بين النقاد فنجده بأنه منقسم إلى نوعين:

-**الخطاب الأصولي:** رفض انتقادات المستشرقين لأفكار الشرق والاستعلاء عليها

-**الخطاب النقدي التحليلي:** إدخال كل من يدرس المنطقة المسماة ""شرقا"" في دائرة الاستشراق، كل من تحدث عن الشرق فهو مستشرق. ومن أبرز المفكرين في الخطاب العربي المعاصر نجد ""ادوارد سعيد""، الذي كان متمركزا في بحثه حول الاستشراق وهو الذي يكون محوَر دراستنا بين النقد والتجاوز الذي اهتم به المفكر الفلسطيني ""وائل حلاق"".ادوارد سعيد مفكر وناقد أدبي أميركي من أصل فلسطيني، ولد عام 1935م، بالقدس وتوفي عام 2003م، درس بالقدس والقاهرة ثم أمريكا، تخصص في الأدب الإنجليزي، وفاز بجائزة جامعة هارفارد كأفضل ناقد عام 1964م، وأصبح بعدها أستاذا زائرا بعدة جامعات أمريكية، منها جامعة كولومبيا وله العديد من المؤلفات الأدبية والفلسفية، وخاصة ما هو متعلق ب: كتاب ""الاستشراق"" الذي حضيَ بمكانة مرموقة في ساحة الخطاب العربي المعاصر، وكان كذلك محوَر الانتقادات التي وجهت له (سمايلوفيتش، 1998، صفحة 21)

وعموما فإن الخطاب حول الاستشراق قد اشتهر به ""ادوارد سعيد"" مما كانت له عدة مؤلفات سواء كانت تلك التي يراد بها البناء أو الهدم. يرى ادوارد سعيد أن نهاية القرن الثامن عشر، على الأقل تقديرا سيطر على ردود الفعل العربي نحو الإسلام، نوع من التفكير المختزل والبسيط في جوهره، وهذا النوع من التفكير لا نزال إلى يومنا هذا نملك القدرة على تسميته بالاستشراق، وقد سبق لي أن ذكرت أن الأساس العام للفكر الإستشراقي، يرتكز إلى جغرافيا خيالية ليست لها جذور على أرض الواقع، إلا أنها ثنائية خطيرة تقسَم العالم إلى شطرين غير متساويين، أكبرهما وهو الشطر المختلف يدعى الشرق، ويدعى

الآخر الغرب وهو الشطر الذي يسميه الأمريكيون عالمنا. (لويس ا.، 1994، صفحة 34)

إذن تعود مسألة ظهور الخطابات الإستشراقية إلى القرن 18م، أي ظهور الحركات الاستعمارية، أي احتلال الدول العظمى الأوروبية، التي شملتها الحداثة والتقدم العسكري إلى غزو الشرق، إذن حسب سعيد إن مسألة الاستشراق هي مسألة كولونيا واحتلال واعتداء على الشرف، وبالتالي هذا المصطلح جغرافي خيالي ليس له وجود واقعي حسب سعيد . والاستشراق في الخطاب المعاصر، في أصله هو البحث عن أثر الأصولية الإسلامية، وبالتالي التوَجه الأول لممارسة المستشرقين في الفترة المعاصرة هو اهتمامهم بالإسلام كالدين وبالشرق كمجتمع إسلامي أو غير إسلامي. (سعيد، 1996، صفحة 5)

3.نقد وائل حلاق للخطاب الاستشراقي السائد:

إن الخطاب المعاصر والذي كان له الاهتمام بالمسألة الإستشراقية، كان له رواد أمثال ادوارد سعيد في كتاباته المختلفة، وخاصة في مؤلفه ""جذور الاستشراق ""فقد كان مجال اشتغاله يدور حول الأدبيات إلا انه في 1978م، دخل مجال التاريخ في الفكر الإسلامي، واهتم بموضوع الاستشراق، وقد وصف ذلك قائلا : **""إنني كتبت هذه الدراسة وفي ذهني عدد من المتلقين لطلاب الأدب والنقد، يقدم الاستشراق مثلا رائعا على العلاقات المتداخلة بين المجتمع والتاريخ، والنصوصية، وعلاوة فإن الدور الثقافي الذي يلعبه الشرق في الغرب يربط بين الاستشراق وبين العقائدية والسياسة ومنطق القوة، وهي قضايا علائقية، في اعتقادي للمجتمع الأدبي ولدارسي الشرق المعاصرين من الباحثين في الجامعات إلى صانعي القرار ""** (حلاق، 2019، صفحة 30)

وإذن كان ادوارد سعيد بصدد وضع رؤية جديدة للمسألة الإستشراقية، ولكن الدراسات البحثية المعاصرة خاصة فيما تعلق بمجال الفكر العربي الإسلامي حاول تبني أفكاره في مختلف الأصعدة خاصة تلك الفئة التي تكَن حقدا للغرب،

ولكن هذا لا يمنع أن يكون له نقدا أو طرح جديد يمكن أن يتجاوز رؤية سعيد للاستشراق، وإذن سنقدم لكم، في ورقتنا البحثية الوجيزة ""المفكر المعاصر وائل حلاق""، وإبراز أهم الانتقادات التي وجهها حلاق لسعيد، وكيف تجاوز تنظيره لموضوع الاستشراق وسنسلط الضوء أكثر على كتاب ""حلاق الموسوم ب: **قصور الاستشراق ""منهج في نقد العلم الحداثي . ومن جملة هذه الانتقادات نذكر ما يلي:** يصف ادوارد سعيد أن الذين يشتغلون على الفكر العربي الإسلامي منهم الغربيين في الأصل أو المفكرين العرب والمسلمين الذين يكتبون من أجل الغرب هم كذلك مستشرقون، فيقول حلاق: ""**ساوى بين موقف برنارد لويس من جهة، وموقف طلال أسد وموقفي أنا شخصيا من جهة أخرى، وقد اتهم بالاستشراق باحثون يمكن لقلة فقط نسبهم إلى ما أسماه مؤلفنا، الاستشراق**"" (حلاق، 2019، صفحة 27) .

وكذلك يتطرق سعيد إلى القول عن أي باحث مهما كان يتكلم عن الشرق سواء سلبا أو ايجابا فهو مستشرق، وإذن يمكن القول هنا حتى أنه هو يعني سعيد مستشرق لأنه تكلم عن الشرق، فقد ربط حلاق عمل سعيد بأنه سيطر على ثقافة العرب والمسلمين سواء منهم المختصين في المجال أم بعيدون عنه، لأن فكرة قد لاقى ترحيبا واسعا لدى الطلبة والنخبة من المجتمع، فهذه السيطرة جعلت من عمل أو موضوع """**الاستشراق مجرد شعارات سياسية بدائية وكلمات هتافيه تجدها مجالا خصبا في حقل الاستعراض اللغوي الأيديولوجي، وأصبح وصف باحث ما بأنه "مستشرق" ضربا من الإدانة ونعتا سليبا**"" (حلاق، 2019، صفحة 27) .

وإذا نظرنا تاريخيا إلى أثر المستشرقين لوجدناه عميقا في تاريخ الفكر العربي والإسلامي فالكثير من الخطط والدواوين، والكتب والمجلَدات وحتى العلماء والمتخصصين في مجالات مختلفة، قد تعرفنا عليها بسبب عمل المستشرقين، إن الجحود الذي وصف به سيعد عمل الاستشراق، قد جعل الذين يهتمون بفكره، يتراجعون عن دراسة أعمال المستشرقين، ما يفقدون في الاطلاع الواسع على الكثير من الأشياء والحقائق، ثم إن حصر سعيد الخطاب الإستشراقي في المجال

السياسي قد جعله ينقد الاستشراق من زاوية تقليدية وسطحية فيقول ""حلاق "":**""ظل سعيد يحرث حقولا سياسية تقليدية إن لم تكن بدائية""** (حلاق، 2019، صفحة 28)

وإذن يمكن القول أن اهتمام سعيد بالأدب قد خاطب الوجدان والعواطف وترك ما هو واقعي أو منطقي، وبالتالي مشروعه النقدي للمستشرقين، قد جعله يخرج عن إطار النقد البنّاء للفكر الإستشراقي ما جعله يحصره السياسة فقط أي جعل الاستشراق، أداة سلاح للمستعمرين من أجل إفراغ الشرق من محتواه العلمي والمعرفي، وإحلال مكانه فكرة التبعية للآخر وتقزيم الذات، وكما يري العالم الأنثروبولوجي ""جيمس كلي فورد"" أن سعيد عندما حصر هذا الموضوع في السياسي لأنه إنسان شرقي تعرض واقعه للتشويه والإنكار إلا أن حلاق فإنه يرى أن سعيد قد جعل من الاستشراق كبش فداء لأنه أهمل في حقل خطابه الأسس البنيوية للعلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية، ومظاهرها السياسية في المشروع الحداثي الأكبر، وهناك انتقادات أخرى وجهت لسعيد بخلاف تلك حددها حلاق وهذه بعض الانتقادات :

1/ تنبي كتاب الاستشراق نظرية حتمية فوكوية الخاصة بالتشكلات الخطابية التي لا تأخذ بعين الاعتبار الفردانية، التآلفية والإسهام الفرداني.

2/ ينكر كتاب سعيد فضلا مستحقا لسابقيه من أصحاب النقد القيّم كأنور عبد الملك وعبد اللطيف طيباوي

3/ يقع الكتاب في الفخاخ نفسها التي يسعى إلى نقدها كافتراض وجود جواهر للأشياء إضافة إلى الإجمال والتعميم.

4/يفتقد الكتاب بشدة للمنهج التاريخي نظرا لكون سعيد ناقدا أدبيا بلا خبرة تاريخية

5/يعتمد الكتاب على أدوات نظرية متشعبة ناتجة عن افتراضات معرفية متناقضة

6/ يتجاهل الكتاب كتابات كثيرة المستشرقين ألمان غزيري الإنتاج كما يتجاهل الاتجاهات النسوية وحتى بعض ""الشرقيين أنفسهم""

7/لا يفسر الكتاب السمات المميّزة لأنماط الاستشراق المتعددة، مع الإشارة هنا ثانية إلى العنصر الألماني خاصة من واقع انتاجه الضخم في سياق مفترض من غياب الإمبراطورية.

8/ يضمر الكتاب تحيّزات ايديولوجية معادية للصهيونية واليهودية.

إن هذه الانتقادات هي الأبرز والأكثر شيوعا والتي وجهت لإدوارد سعيد لتناوله الا ست شراق، إلا أن حلاق لم تكن له الموافقة على بعض ما ذكر من هذه الانتقادات فمنها في النقد الأول والثالث والخامس، ويرى كذلك أن النقد الثاني شكلي ليس له معنى وإنما الذي و صفه كان يقصد نقد شخص سعيد وليس نقدا لفكره، وهذه الأزمة النقدية موجودة بـ صورة كبيرة لدى النقاد العرب و الم سلمين، لا سيما تلك التي تطال حتى المعتقدات والأفكار ومختلف الإيديولوجيات والمذاهب، فيكفي أن يعبر المفكر العربي ويبدي رأيه حول ما يدور حوله من أحداث راهنة، أو حتى تلك التي تكون متعلقة بالتاريخ، الما ضي فبو صف الـ شخص بالعلماني أو الإلحادي او الم ست شرق لا تجدي نفعا، وفي اعتقادي هذا ضعف م ستوى النخبة، فيجب ان ينظر إلى فكر الـ شخص وليس إلى معتقده أو مذهبه ن وبالتالي : مواكبة الحداثة تقت ضي نقد الأفكار وليس نقد الأ شخاص، وفي السابق هذا ما أ شار إليه المفكر الجزائري مالك ابن نبي في كتابه م شكلة الأفكار في العالم الإ سلامي، إ ضافة إلى النقد الأول والثالث الخامس لم يو ضح سعيد كيف يمكن للحرفية التاريخية أو النظرية أن تطرح تقييما نقديا بديلا عن الإستشراق عند سعيد أو أنها تضع انتقادات لا تعد وعن كونها شكلية، أما النقد الثامن فهو قدح مدفوعا إلى الانتقام من كتاب الا ست شراق وقيمته، في الـ ساحة العلمية العربية والإ سلامية، **فيقول حلاق : ""إن الانتقادات المذكورة، تمثل بـ صورة شاملة ودقيقة الردود على كتاب سعيد، إن قدرا كبيرا مما يوظفه هذا النقد قيّم كمو ضوع حوار**

علمي، بيد أن بعـ ضه يهدف بكل و ضوح إلى تـ شويه الكتاب على أ سس سياسية"" (حلاق، 2019، صفحة 35)

إذن أغلب ما وجّه من انتقادات لإدوارد سعيد لا تعدو كونها سيا سية حـ سب حلاق

إن أكبر المـ شكلات التي أحاطت بكتاب الا ستـ شراق، عندما أراد سعيد أن يثبت بان هناك اختلاف بينه وبين فوكو فيما يخص ""البـ صمة المحددة""، ولأن فوكو يـ ستبعد ذات المؤلف في تحليل الخطاب والتركيز حول النص أي الفـ صل بين المؤلف والمؤلَّف، فإن سعيد يرى بأن هناك علاقة وطيدة بينهما ولا يمكن أن نفـ صل بين الكاتب وما كتبه، فإن وائل حلاق لا يتفق في هذا لا مع سعيد ولا مع فوكو لأن الإستشراق له منظومة حداثية مركبة وفلسفة تنويرية انتجته

فيري حلاق بأن سعيد لم يفهم فوكو في نظرية المؤلف وبالتالي لم يعمل في إطارها، وإنما عمل في خطابه على ا ستقطاب الجماهير ولو على حـ ساب الإ ستـ شراق عندما حـ صره في دائرة الـ سيا سة لا غير **""بل إنها تدل كذلك على فـ شل سعيد في فهم المدى الكامل لقدرة الإ ستـ شراق المدمرة باعتباره ذ سقا حداثيا من القوة""**

و كذ لك من منطلق الجحود الـ تاريخي والفكري أن يربط سعـ يد ظهور الإ ستـ شراق وامتداد جذوره إلى التراجيديا اليونانية مع اي سخيلوس، وهو في أ صله غير شرقي، ثم بعد ذلك يربط بداية الإ ستـ شراق في عام 1312 وبالتالي فإن سعيد لا يميّز بين البعد الجغرافي وممار سة الفعل الخطابي الإ ستـ شراقي فيقول حلاق :**""لا يشرح لنا سعيد هنا الفرق بين ""الوجود الرسمي"" للاستشراق وبداية قـ صته، ولا يـ شرح لنا كيف أن هـ اتين الظاهريتين اللتين يفـ صلهما أكثر من ألف وخمس مئة عام يرتبطان ببعـ ضهما، وهـ كذا يعتقد سعيد بوجود مـ ستـ شرقين معا صرين، ومـ ستـ شرقين ينتمون لعـ صر النهـ ضة الأوروبية، ومستشرقين قدماء يونانين ولا تينيين مسيحين""** (حلاق، 2019، صفحة 65)

ويحكم بصورة مطلقة على أن هؤلاء كان عملهم تزييف صورة الشرق والإساءة إليه، ثم إنه لم يو ضح على الفرق في الخطاب الإ ست شراقي بين هذه الفترات، لأن كل مرحلة لها خصوصيتها التاريخية، وممارساتها الفكرية الخاصة بها، و بالتالي غياب التحد يد الجغرافي والاثني في كتاب سعيد، إذ اختلطت الجغرافيا بالتاريخ لتصنع صورة لا يقبلها العقل.

يقول سعيد في كتابه الإستشراق: **من الصحيح إذا القول أن كل أوروبي كان في كل ما قاله عن الـ شرق عند صريا وامبرياليا ومتمركزا بالكامل حول اثيته الخا صة ""**إن الحكم الذي أ صدره عن كل المستشرقين كان جزافيا شاملا، يغيب عنه التحليل والتحديد والدقة في المو ضوع، فلا يمكن أن ي شمل حكم الواحد العن صرية وخدمة الكولونيا من ع صر ايسخيلوس و صولا إلى برنارد لويس ن وبالتالي فإن سعيد لم يفهم نظرية التـ شكلات الخطابية المحددة تاريخيا وثقافيا عند فوكو .

إ ضافة إلى أن نقاد سعيد، فقد دأبوا بنبرة مسيّسة وهجائية عنيفة على اتهامه باستهداف الكثير من المستشرقين الصالحين الذين تمتعوا بالمصداقية ومنحوا الفر صة ""**لأهل البلاد الأ صليين بالتعبير عن انف سهم بلا ا ستعلاء ثقافي، ومن هؤلاء الـ مـ ست شرقين الـ صالحين ""يوليوس فلهاوزن، تيودور تولدكه، كارل هانيريش بيكر....**""" (حلاق، 2019، صفحة 67)

4/ الاستشراق عند وائل حلاق:

يرى وائل حلاق أن الهجوم على الإستشراق ومحاولة تشويهه يؤدي إلى انتاج غطاء خطابي للتمويه عن أزمات خطيرة في طبيعة المعرفة، الحداثة المتأخرة، ثم إن الممارسات السياسية التي كان بها الكولونيا، جعلت الإستشراق موضوع اتهام في خد مة المـ ستعمر و هذا على المـ ستوى البنيوي والمنهجي، للفكر العربي الإ سلامي، مم أدى إلى إخفاء القوى الحقيقية التي تقف وراء الممار سات والصفات التي يتهم بها الإستشراق ولكن إلا أنه لا يمكن تبرئته بصورة نهائية.

فحسب حلاق لجعل الإستشراق كموضوع دراسة يجب أن نبدأ من البنية الأولى التي أنتجته والنظام الذى يسير وفقه، ثم نستوعبه ثم يجب الانتهاء بهما بمعنى: الانطلاق من مقدمات وهي البنية والنظام ثم الانتهاء بهما لأن: ""**الذات الحداثية وتركيبها، بوصفها العامل المحدد لشكل الأبنية الحداثية، يجب أن تكون في صلب تحليلنا، فالا ست شراق كأي حقل خطابي أكاديمي آخر، هو فرع لأ صل، وما هو فرعي يجب أن يكون له، بحكم التعريف أ صل يتفرع منه**"" (حلاق، 2019، صفحة 35)

إذن لفهم الإستشراق يجب أن نتعامل معه كخطاب، وكذلك البحث عن أصل هذا الخطاب وماهي تجلياته، وكذا معرفة الغاية من ا ستخدامه، إ ضافة إلى و صف حلاق الخطاب العربي الإ سلامي في الفترة المعا صرة، ي صف حالته على اعتبار أن الإ ست شراق هو نوع من أنواع التحيّز، ويعرف هذا الأخير بالاذ سياق والاتفاق مع طرف من طرف آخر، ولكن الم شكلة التي تواجهنا هي :""**أننا ف شلنا حتى هذه اللحظة في تطوير آلة نقد منا سبة لت شخيص هذا التحيّز، وبالتالي يأتي الارتباك وتبادل الاتهامات الع شوائية وو صف الآخرين بها**"" (حلاق، 2019، صفحة 36)

ثم إن الإستشراق عبارة عن بناء نسقي مركب في هيكل أكبر يحدد له طبيعته وهدفه، وله امتداد متنوع رأسيا وأفقيا في مشروعه الحداثي وفلسفته التنويرية

إن الهدف من تجاوز نظرية سعيد هو تجاوز لفكرة وجود مستشرق صالح وآخر خبيث، إن هذا النوع من الف صل بين الدرا سات الا ست شراقية ليس له أهمية كبيرة، لأنه لا يمكن القول بوجود مستشرق خبيث لأنه يشوّه صورة الشرق أو الم ست شرق ال صالح الذي يكتب عن ال شرق بـ صورة ايجابية ""**إن الإ ست شراق يتوقف على مقدار تشبثه ببنية فكر معينة**"" (حلاق، 2019، صفحة 37)

فح سب حلاق فإنه يعتمد على أنه يبدأ بت سكين المؤلف أي تف سير فوكو في إطار النماذج المعرفية أو النطاقات المركزية، وهذه تخدم قوة الطرح لدى حلاق في ثلاث طرائق على الأقل:

أولا: تمكنّه النماذج المعرفية من تحديد موقع المؤلف في سياق المنظومة الخطابية الأوسع

ثانيا: توفر النماذج المعرفية أسلوب يمكن الاعتماد عليه في المقارنة بين ظاهرتين مختلفتين أو حتى متباينتين تاريخيا وثقافيا.

ثالثا: يمنع هذا المنهج في تناول النطاقات النموذجية المختلفة زمانيا ومكانيا القياسات الفاسدة والمقارنات غير المتوازنة

إن هناك اختلاف بيّن وواضح بين ما بناه سعيد عن الإستشراق، وما يريد حلاق تجاوزه هذا الطرح، فإن سعيد لم يطوّر فهما خاصا به عن الشرق، بل إنه وقع في حيرة عن ما هو ""الشرق""، أهو شرق المستشرقين المختلف أم هو ذلك الشرق العصري والليبرالي الذي يفضي إلى تهمة إعادة تشكيل الشرق في صورة الغرب.

ولهذا يؤكد حلاق على انه لكي نفهم المعنى الحقيقي للاستشراق أو الخطاب الإستشراقي، يتطلب فهما خاصا للآدائية إذ إنه لو كانت هناك أي قوة أدائية للخطاب الإستشراقي فإن ذلك يتحقق فقط بموجب ما يطلق عليه شروط الملائمة التي ترتكز عليها ""**إن الغرض من استخدام مفهوم الأدائية هي إعادة سعيد إلى حقيقة الحداثة، أو الواقع الحداثي الذي ارتبط ببنى فكر عميقة، و سيادة معرفية وفصل وتجزئة وهندسة ثقافية، وكولونيالية، وأشكال مختلفة من الإبادة بصفة خاصة**"" (حلاق، 2019، صفحة 40)

إن العلاقة التي أقرها فوكو سابقا من المعرفة والقوة، هي السر الذي تكمن من خلاله هذه العلاقة حتى يمكن أن نفهم مشكلة الإستشراق المركزية، وفي الأخص العلاقة بين المعرفة والقوة في التراث الإسلامي ما قبل الحداثي، فيرى حلاق بان القوة الموجودة في الخطاب الإستشراقي ليس كامن في قوة الكولونيا فحسب بل هي انتاج المعرفة الأوروبية، وكذا ليس مقتصر على الخطاب السياسي بل خطة طريق تهدف إلى خلق الشرق بصورة فعلية على الأرض، وليس فقط نصية.

يربط حلاق الخطاب الإستشراقي في نقطتين جوهريتين:

أولا: لم يكن النص الإ ستشراقي وحيدا أو منفردا بأي حال في ذلك المشروع الحداثي فقد كانت هناك نصوص أخرى متعددة تعمل على إبعاد واقع الشرق نفسها

ثانيا: ضم الشرق أيضا للغرب، غرب أوربا والأمريكيتين، وقد نضيف الجيوب الشرقية داخل أوربا، أمريكا نفسها، آمل أن تزيد هذه الصورة الكبرى عن النصوص الأخرى والمشارق الغربية، وضوحا مع وضع الإستشراق في مكانه الصحيح الذي ينتمي إليه (حلاق، 2019، صفحة 40).

وإذن الشرق حسب حلاق لا يقتصر على الشرق الإسلامي بل يتجاوزه إلى شرق أوربا والأمريكيتين وبالتالي اهتمام العلماء الغربين الأوربيين بمختلف مناطق العالم وهذا هو معنى دراسة الشرق حسب حلاق -**وضع الإستشراق في مكانه:**

لتفادي الأخطاء التي وقع فيها سعيد لتصوره لمفهوم المؤلف والذي أخطأ في فهم فوكو في هذه النقطة، يسمي حلاق نظريته في الإستشراق بنظرية النماذج يقول: لا **يتناول تحليلي هنا بطريقة تصوير المستشرقين للشرق بل يتناول الطريقة التي نصوّر بها نحن المستشرقين"** (حلاق، 2019، صفحة 65)

يمكن حل إشكاليات إدوارد سعيد المرتبطة بالقضايا المهمة من خلال النظر في الواقع الإنساني بوصفه مكونا من بنى تحكمها نماذج معرفية تنشئ بدورها انقسامات بين نطاقات مركزية وهامشية وتحدد مجموعة من العلاقات بينها، لا تدلنا نظرية النماذج على موقف مؤلف ما داخل أحد النطاقات فحسب، ولكنها تزودنا أيضا بأسلوب منطقي يمكن بموجبه تناول ظاهريتين بطريقة مقارنة مفيدة ودالة.

وإن الاستشراق لا يعد كونه ظاهرة انسانية فحسب بل يتجاوز ذلك إلى أن يكون ظاهرة حداثية فريدة لها خصائصها التي تتميز بها، يرى حلاق أن أي مؤلف له علاقة بالنماذج، وهي بدورها تتمثل في بعض الأفكار والمواقف

الأيديولوجية والمؤ سـ سات تقف فيها ، إما كنماذج مـ ستقلة أو كنماذج ترتبط بنماذج أخرى.

1.4نظرية النماذج ل: كارل شميث:

ولكي نفهم نظرية النماذج يـ ستعرض حلاق نموذج ""كارل شميث"" الذي يربط كل ا لمجالات في نطاقها المركزي، والمثال ا لذي يقد مه التقدم التقني الأوروبي في القرن التا سع عـ شر، ولذلك هناك علاقة بين هذا التقدم والمواقف الأخلاقية والـ سيا سية والاجتماعية والاقتـ صادية، وهذه المواقف أ صبحت بمنزلة العقـ يدة التي بـ شرت بحل كا فة المـ شكلات الأخرى من خلال التـ قدم التكنولوجي، وإن النـ طاق المركزي ا لحالي هو نـ طاق مادي لأ نه العنـ صر اقتـ صادي ومجال مـ شكلاته هو انتاج البـ ضائع وتوزيعها حتى أ صبحت الأ سئلة الأخلاقية والاجتماعية غير ذات أهمية: ""**وهكذا تكتسب كل المفاهيم، بما في ذلك الله والحرية والتقدم والتـ صورات الأنثروبولوجية، عن الطبيعة البـ شرية، والمجال العام والعقلانية والعقلنة، ثم مفهوم الطبيعة والثقافة نفسيهما، مضمونها التاريخي الحقيقي من موقف النطاقات المركزية ولا يمكن فهمها إلا من داخل هذه النطاقات**"" (حلاق، 2019، صفحة 73) .

وإذن حـ سب شميث فإن الرأسمالية هي النموذج الجيد الآني للحداثة، فيعتبرها بأنها لديها القدرة على صياغة أي مجال وإن كان خارج نطاقها فيمكن أن تتحكم في الفنون وانتجاثها وتحوّله إلى سوق العمل أي جعل كل شيء يعود بالربح والفائدة حتى في المجالات المعنوية كالفنون.

وتخدم نظرية النماذج والنطاقات المركزية في فهم المؤلف داخل علاقات القوة، ثم تفسر جدلية المعرفة والقوة التي هي عماد أفكار كل من فوكو وسعيد

2.4ـنظرية المؤلف لفوكو:

ينطلق حلاق في شرحه لنظرية فوكو، بانتقاد سعيد في جزء وتجاوزه بعد ذلك في جزء آخر، بمعنى يعتمد على ضبط الخلل الذي وقع فيه سعيد عندما وصفه بأنه لم يفهم فوكو في نظرية المؤلف لأن : سعيد قد بالغ من قيمة المؤلف، كما بالغ في الوقت ذاته من الحط منه، فمن الناحية النظرية، كانت للمؤلف في تراث الإستشراق، وربما قصد سعيد المؤلف بصفة عامة بصمة محددة، أما عمليا فقد اعتبر المستشرق ميتا، إذ يظهر وقد محيت صورته، بتعبير فوكو، وهذا دليل على أن سعيد عندما حكم على كل مستشرق أنه إمبريالي وعنصري على أساس أنه مرهون بضغوطات قومه، أو تراثه أو تقاليده العلمية، وبالتالي حلاق يتعجب من اصرار سعيد على تأكيده اختلافه مع فوكو في هذه النقطة الحاسمة .

ونظرية فوكو في المؤلف حسب حلاق فيوضح بأن هذه النظرية قد تركت الكثير من الأمور دون حل، بل انها خلقت مشكلات من خلال طرح السؤال ما لمؤلف؟ وكذلك فإن سعيد قد أوقع نفسه في عدة تناقضات من خلال نظرية فوكو الذي حدد في لا فكرة ""المؤلف كوظيفة آلية ""، ثم إن الفترة التي اشتهرت فيها الخطابات الإستشراقية ومؤلفوها تزامن مع تحديد فوكو القرن التاسع عشر بموت المؤلف وهي نفس الفترة التي أصرّ عليها سعيد في موطن متكررة.

يرى فوكو أن مؤسسي الخطابية متفردون فهم ليسوا مؤلفي نصوصهم فحسب، بل وكلاء كذلك ومنتجون لاحتمالات تشكّل النصوص الأخرى وقواعد هذه النصوص وقد سلّط الضوء فوكو على ماركس وفرويد، لأن أعمالهم أدت إلى شيء مختلف عن خطاباتهم، وإذ كان منتميا إلى ما أنتجوه ""**بعبارة أخرى ....لا يلعب الشروع في ممارسة خطابية دورا في تحولاتها اللاحقة، إلى غاية ما يقوم به هذا الانطلاق هو تحديد : الإحداثيات الأولية التي تشير إليها الخطابية أو علم الخطابية، بيد أن هذه الإشارة إلى الجذور ليست من باب البهرجة فهي لا تتوقف أبدا عن تعديل الخطابية، وما يصاحب ذلك من تحوّل الممارسة الخطابية نفسها**""" (حلاق، 2019، صفحة 85)

وبالتالي فعند وضع الاستشراق في مكانه ينتج عنه ما يلي: """**كان الاستشراق أدائيا ولم يكن تصويريا بأي معنى حقيقي للكلمة، فقد كان موضوعه باعتباره بنية مؤسستيه وفكرية، هو الشرق نفسه، فضلا عن محاولة إعادة انتاجه ماديا ونفسيا ومعرفيا، وهو بذلك يرتبط بالقوة بصورة لا يمكن اليوم الشك فيها، بيد أن هذه هي نصف الحقيقة فقط، بل هي النصف الأقل منها خطرا ن والذي ظل يسيس الاستشراق فعليا، بدرجة افقدنا القدرة على رؤيته في سياق علاقاته العالمية الأوسع**""" (حلاق، 2019، صفحة 118)

□

خاتمة:

وكخلاصة لما أوردناه في بحثنا حول الإستشراق :دراسة نقدية ورؤية بديلة لفهم ونقد العلم الحداثي، نستنتج أن الإستشراق كموضوع حداثي تلقفه المفكرون العرب والمسلمون نقد طائلة نقد خطابه كما كتب عنه ""ادوارد سعيد""، إلا لأن هذه الدراسات كانت قاصرة وغير مرضية حسب وائل حلاق، الذي حاول أن يضع الاستشراق في مكانه من خلال الاعتماد على نظريات مثل : النماذج كارل شميث والمؤلف ل: ميشال فوكو، وإن الهدف الحقيقي للدراسة الإستشراقية فالأول مرة في تاريخ الإسلام، يخضع إنتاجه الثقافي، ولا سيما أفكاره التي تقوم على النصوص وقد انتزعت الآن من سياقها الثقافي والنفسي لمنظومة تأويلية غريبة عنه، تتصف بنزعة تحويلية مهيمنة، ولا ينكر حلاق أن الاستشراق يخدم الكولونيا، والإمبريالية من جهة وكذلك يعتبره مشروع علمي يهدف إلى إعادة تعريف وتشكيل الطريقة التي يفكر بها المسلمون أنفسهم في العالم، إذ لا نزال نتغذى على كل كتب الأقدمين في مختلف المجالات كالتاريخ والدين وفروعه المختلفة، إن هذه المسألة تشعرنا بأزمتنا وتوضح أفقنا في كيفية تجاوز هذا القديم، بالجديد ويعيد تعريفنا لأنفسنا حتى نكون أفرادا حداثيين وندخل التاريخ ونؤثر فيه.

قائمة المصادر:

حلاق وائل، (2019م)، قصور الاستشراق (منهج في نقد العلم الحداثي)، ت: عمرو عثمان، بيروت، (ط1)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر

قائمة المراجع:

. برنارد لويس، (1999م)، القاهرة، الغرب والشرق الأوسط، ت: سمير مرقص، دار ميرت للنشر والمعلومات

-الدعمي محمد، (2008)، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، بيروت –لبنان، (ط2)، مركز دراسات الوحدة العربية

. سعيد ادوارد، برنارد لويس (1994م)، الإسلام الأصولي، بيروت، (ط1)، دار الجبل.

سعيد ادوارد، (1996م)، تعقيبات على الاستشراق، ت: صبحي حديدي، (ط1)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

. سماي وفيتش احمد، (1998)، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي.

. حسن محمد زماني، (2010)، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ت: محمد نورالدين عبد المنعم، (ط1)، القاهرة، المركز القومي للترجمة.